دراسة تحليلية لرواية الطاهر وطار «اللاز»

بقلم : عمر قـــادم - سجن الرملة

قصة الكفاح الوطني للشعب الجزائري، الذي حارب الاستعمار الفرنسي في سنوات الخمسينات وبداية الستينات. وحقق استقلاله وحريته بعد ان قدم على مذبح الحرية ما يقارب المليون شهيد.. وقد قادت جبهة التحرير الجزائرية التي تكونت من عدة منظمات وطنية الشعب الجزائري حتى النصر..

اللاز اسم احد ابطال الرواية.. بل بطلها الرئيسي الذي يرمز للشعب الجزائري في ماضيه وحاضره ومستقبله. ويمثل الرواية. ملحمة البطولة. كرمز للشعب الجزائري الذي يلتحق بالثورة بعد ان سمعه امها الطليعة ممثلة بزيدان الذي هو ممثل الطليعة الحقيقية للشعب اي طليعة البروليتاريا.

ان الهدف من كتابة هذه الرواية يوضحه كاتبها في المقدمة حيث يقول "لا بد من استمرار للوضع. لا بد من ان يمضي الامر. حتى الامور ذات يوم : او كما يقول بطل القصة الرئيسي: "ما يبقى في الوادي غير الحجارة". ثم يقول "حتى انتهي هذه. حتى اصل الى المعرفة من آخر الجذور. بعد ذلك اتكفل بابراز الوجه الجديد للاذي العزيزة"

اذن فالهدف من هذه الرواية هو توضيح بعض القضايا التي دار حولها الخلاف في داخل جبهة التحرير الجزائري في السنوات الاخيرة والسنوات التي اعقبت نجاح الثورة هذه الخلافات التي تحدث عن الخلاف بين الحزب الشيوعي الجزائري وجبهة التحرير الجزائرية التي طالبته بغير حق. ان يحل نفسه على غرار الحزب الشيوعي المصري الذي حل نفسه خطأ واندمج في الاتحاد الاشتراكي المصري وذلك خلافا لبقية الاغلبية الساحقة من الاحزاب الشيوعية العربية التي دعته الى عدم الموافقة على مطالبته حل نفسه والاندماج في الاتحاد الاشتراكي على شكل افراد.

مغزى الرواية يكمن في عبارة اللاز الشهيرة "لا يبقى في الوادي غير الحجارة". ويتساءل قدور عن حجارة الوادي التي يعنيها فيجيب محمد: الصح.. الصح.. لا يبقى في البلاد غير الصح. الصح هو الحق.. وهذه البلاد ليس فيها حق. لكن ناس يوم. ولا يبقى في الوادي الا الحجارة، الا الصح... الا الحق".

بالاضافة الى ان الرواية هي كسجل لتاريخ نضال الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي فانها تحفل بالرموز التي تعكس العديد من الافكار الصائبة والفلسفية والتنظيمية، التي تلف البناء النوعي لاسس العلاقات الطبقية بين مختلف فئات الثورة المتواجدة في قلب جبهة التحرير الجزائري والموضوع الرئيسي او الجملة الرئيسية في الرواية هي الثورة ولكن بالاضافة للحبكة والعقدة الرئيسية، يوجد الكثير من الحكايات الفرعية التي تعطي ابعادا سياسية سيكولوجية وتنظيمية وفكرية واحلامية للرواية.

فالضابط الفرنسي الخبيث مثلا يعكس البعد اللااخلاقي للاحتلال وساديته وبربريته بنفس الوقت.

ان عظمة الثورة ذات بعد مادي وآخر روحي. فالجماهير تسقي روحها بالمقاومة العادية الثورية. بينما الاحتلال يدنس روحه بالمقاومة العادية المضادة.

ابطال الرواية اناس من طبقات الشعب الفقيرة والطبقات الوطنية الوطني. تلك الطبقات التي تشكل مادة كل حركات التحرير الوطني في العالم. فالعمال والجزائريون والفلاحون والجنود المحرومون والتجار. كلهم ساهموا بالثورة ويخوضون بأدوارهم بشكل متفاوت من الثورية والجرم. واسلوب الرواية. روائي درامي مثير واحداثها تخدم هدفا واحدا هو الثورة وضرب العدو الا ان بعض احداثها مترابط بشكل عضوي والبعض الآخر مجرد حكايات صغيرة هنا وهناك ويمكن اخراجها من القصة تماما دون ان يؤثر ذلك على احداث الرواية بشكل مطلق

والاحداث الرئيسية في الرواية تمثل الحدث الاساسي الذي يشكل الارضية التي تقوم عليها الرواية وهو حرب التحرير الوطني الجزائري. اي الثورة ضد الفرنسيين. اما بقية الاحداث التي تدور في اطار الحدث الاساسي فهي اعمال اللاز وما ينتج عنه من فرار قدور. والتقاء حمو وزيدان. ثم فرار اللاز مع الكثيران رمضان وقتلهم الملازم سبعان. ثم فرار بعطوش وتدمير الثكنة وقتل الضابط الخبيث ثم اخيرا الحدث الهام : نفي زيدان بناء على طلب القيادة والتقاءه مع الشيوعيين الاوروبيين الخمسة وذبحهم على يد الشيخ امام اعين اللاز. وافكار الرواية كثيرة ومتعددة وتشمل جميع جوانب العمل السياسي الثوري. هذه الافكار تشمل نضال حركة التحرير الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي ثم النضال الطبقي وعلاقة الاغنياء والفقراء بالثورة، ثم المركزية الديمقراطية كمبدأ تنظيمي والعلاقة بين الحزب والجبهة ثم قصة الرتب في الجيش الثوري، وقصة احترام المسؤول التنظيمي ومؤهلاته، ثم افكار عسكرية كتحليل الفرق بين التحدي النظامي ومقاتل العصابات ثم توضيح تكتيك حرب العصابات الذي يعتمد على الكر والفر. شخصيات الرواية

الشخصية الاساسية في القصة هي اللاز، وقد اختلف معنى هذه الكلمة عبر التاريخ وحملت معاني كثيرة فكلمة اللاز تعني ربما يحفظ نفسه مهما تغير اللون المسحب وهو بالمعنى المجازي البطل في غير لغة قومه، اما عند قومه فهو اللقيط او كل اعور يتشاءم منه، اما في قصتنا فهو لقيط لا يتذكر حتى امه. من هو أبوه، برز الى الحياة يحمل كل الشرور، مكابر، معاند، وقح متعنت لا ينهزم في معركة. معدل دخوله السجن ثلاثين مرة في الشهر معامر، لص، سكير، حشاش، وفي مغزى الرواية يكشف اللاز انه ليس لقيطا وانما الابن الحقيقي لزيدان عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الجزائري، احد قادة الثورة، وصاحب الشخصية المتناقضة المؤامرة فيها. ان اللاز الانسان هو لقيط ولكن لكل لقيط ام واب او اب مجهول. اما اللاز الثائر، فهو الشعب الجزائري وثورته الوطنية الشعب الذي يقاتل الاحتلال ويضحي بكل شيء في سبيل وطنه.

في البداية كان اللاز منبوذا مكروها. لانه كان يعكس واقع الاحتلال وجوانبه السلبية. في النهاية أصبح أفضلهم جميعا لانه يمثل الثورة. فالثورة فقط تغير الانسان وتعيد تربيته. ولكن اللاز في النهاية يغيب ويولد شعار ثورته "لا يبقى في الوادي غير الحجارة" بمعنى انه "ما تزال الثورة قائمة". وان مياه الوادي تجرف الاوساخ والاجسام القذرة الطافية ولا يبقى سوى الحجارة الثقيلة. اي العناصر المؤمنة بالثورة حتى النهاية. لقد سكت اللاز في النهاية وبدا عاصيا ولكن سكوته كان طبيعيا حيث ان ثورة الجزائر قد توقفت في منتصف الطريق، بعد ان ضُعفت القوى الثورية وتقطعت داخل اطار العزلة القومية المحدودة وقطعت صلتها العضوية بالاممية والبروليتارية. بالنضال الطبقي والتحرر الاجتماعي الكامل. لقد سكت صوت الشعب واجهضت ثورته فعلا، عندما ذبح زيدان ورفاقه الشيوعيين على يد القيادة الرجعية للثورة.

عمر قاسم

لقد كان اللاز اللقيط تجسيدا لمرحلة الاحتلال والمراهقة للشعب الجزائري نتيجة نفحة تحت الاحتلال والاضطهاد. ولكنه بنفس الوقت مثل نواة الثورة التي زرعها في الشعب، الحزب الشيوعي الجزائري ممثلا بزيدان، الذي اعطى للقيط شرعية وبالتالي أعطى للشعب روحه الحقيقية وأصالته وعناده واحلامه وشجاعته. ومن تفاعل الشخصية المزدوجة للاز مع لحن غربته في وطنه وبين قومه غربة الشعب المحتل... الشعب الذي فقد حريته السياسية والاجتماعية ... غربته كافراد وكشعب.

ان اللاز كتلة من القاذورات تصلبت وتبلورت تحت وطأة مئات السنين من الاحتلال. ولن تتطهر هذه الكتلة المتعفنة وتعبر عن نفسها الا بالتحرر الشامل والكامل للشعب الجزائري... لن نفهم اللاز ولن نسمع صوته الحقيقي الا بعد تساقط الصدأ من خلال الطرق والضرب الشديد على المعدن الصدئ... من خلال المعاناة، والسير الطويل في موكب النضال.

اما اذا نظرنا الى رواية اللاز كمجموعة من الاحداث المتتالية والمتنوعة المثيرة لبدت قصة عادية مسلية لا تختلف عن غيرها من حيث الجوهر وقد تبدو للوهلة الاولى مسلية للكبار والصغار. للمثقفين وغير المثقفين على السواء. ولكن ما ان تدرك مغزاها الحقيقي حتى تكتشف عمقها ومغزاها... فهي رواية سياسية عقائدية من الدرجة الاولى يجد فيها المثقفون الثوريون شواهد تستجيب لها ذهنيتهم الوقادة، وتحليلاتهم التاريخية العلمية الصائبة... وهي رواية لا تكفي لفهمها الثقافة الفكرية المحدودة. وانما الثقافة الثورية المتاخمة للمنطق العلمي الثوري. ان هذه الرواية موجهة لابناء حركات التحرر الوطني الذين سيجدون فيها خطا وسوف يلهب حماسهم. ولكن المقصودين الحقيقيين بها هم المثقفون الثوريون لانهم اول من سيدرك ابعادها ومغزى الرسالة التي توحي بها ولانهم اول من اشعل نضالها ثم اكتوى بنارها..

ان "اللاز" رواية تنتمي لمدرسة الواقعية الاشتراكية الرمزية. حيث كل حدث وكل اسم يمثل رمزا. على راس هذه الرموز اللاز نفسه، البطل الحقيقي للرواية والذي يرمز للشعب الجزائري في ملحمته النضالية. ومن هذا المنطلق في تحليل الرموز. فان الموضوع الرئيسي في الرواية. هو الشعب الجزائري وصورة كفاحه الوطني وعلاقة هذا الكفاح بالحزب الشيوعي الجزائري ثم علاقته بالثورة الاشتراكية العالمية المتمثلة بالمساهمة الاممية لعناصر من الاحزاب الشيوعية في فرنسا واسبانيا التي كانت تقوم بمهمة محددة لصالح النضال ضد القوات الفرنسية المستعمرة. فالبعض مطارد ويقوم بقتل الجواسيس او يهرب الجنود الجزائريين العاملين في الجيش الفرنسي الى الجبال. والبعض الآخر يعد عمليات ضد الجيش الفرنسي او يقوم بايواء المناضلين. من خلال تفاعل هذه الادوار لمناضلي الثورة تكشف لنا الخلافات الفكرية والسياسية. والمشاكل التنظيمية لاداة الثورة. فزيدان احد قادة الثورة وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الجزائري يمارس نشاطه الثوري فتوجه الثوار تنظيميا وعسكريا ولكنه يعيش صراعا داخل الثورة بين القوى اليمينية الرجعية والقوى الشيوعية المتقدمة وتنتهي القصة بذبح زيدان على يد القوى الرجعية داخل حركة التحرر الوطني الجزائرية... عملية الذبح التي ترمز الى تصفية الحزب الشيوعي الجزائري اثناء الثورة ثم قطع الروابط الاممية للثورة مع حركة التحرر الوطنية والشيوعية العالمية. هذا الذبح الذي يجري امام اعين الشعب الجزائري الممثل باللاز والذي يبقى صامتا حتى النهاية ويكرر جملته المشهورة : "لا يبقى في الوادي غير الحجارة".

خلال الرواية يصدر الكاتب البطولات الفردية والجماعية لابناء الشعب الجزائري بكافة فئاته الطبقية ولكن "اللاز" كرواية ليست تاريخ اشخاص. وليست ملهاة بعث وتكتب حسب الناس. والملهاة ليست تبريرا لخط مسيرة التاريخية بواسطة انتصارات الفاشل وقعقعة السلاح. ويرافق هذا العزف لحن الاموات النشاز للقوى الرجعية والخائنة التي تحرف مسيرة الثورة او تعيق تقدمها فتجعل الكفاح اكثر ضراوة واستطالة [illegible] امد الطا.

الشعب يصنع التاريخ ولكن ليس على هواه بل من خلال نواميس موضوعية تحكم حركته الاساسية بينما والافراد هم ابناء عصورهم ونتاج الظروف التاريخية والظروف الاجتماعية التي تسمح لهم بلعب الدور الذي تفرضه عليهم هذه الظروف اما الابطال فهم يصنعون بصعاب وضحايا ومؤهلات وقابليات تمكنهم من التقاط هذا الدور فيوجهون شعوبهم وينيرون لهم الطريق وفي العملية التاريخية ليس من بطل حتى النهاية سوى الشعب.

مواهب مواهب مواهب مواهب في طريق العطاء

- الاخ محمد موسى زيادة - القدس
  شكرا على رسالتك الرقيقة، ونرحب بك صديقا للطليعة، وبمشاركتك في الزاوية الادبية. حاول الكتابة ثانية، ونعدك بأننا سوف ننشر لك.
- الاخ محمد الاسمر - الطيبة - حمص
  وصلتنا رسالتك. شكرا على اهتمامك بالطليعة، وأرجو ان نستطيع ان نلبي رغبتك في القريب العاجل، حالما يسمح بتوزيع الطليعة في الضفة الغربية.
- الاخ يوسف الطميري
  قصتك "انسان" هي عبارة عن حكاية، وليست قصة بمفهومها الفني ثم ان القصة القصيرة لا تحتمل حشو كل هذه المعلومات التي سردتها في قصتك على مدى زمني لا يتسع لها
  كما ارجو الكتابة بخط واضح. وعلى جانب واحد من الورق، فان هذا يسهل علينا قراءة ما تكتبه عليك بالمثابرة على القراءة. اكتب لنا ثانية، ونحن نرحب بك.
- الاخت اسد البلد:
  خاطرتك "الرعب على الابواب" اقرب ما تكون الى قصة قصيرة.. لو لم تعتمدي الاسلوب الانشائي في الكتابة كما انصحك بالابتعاد عن الانفعال والتشنج وتصوير المواقف عبر الواقعية في الكتابة.
- الاخ عبد الكريم فرمان - جامعة بيت لحم
  نأسف لعدم تمكننا من نشر قصتك الثلاثية بحسب المباشرة فيما تكتب لكي نتمكن من نشر انتاجك.
- الاخ امين السعود - ادنا
  قصتك "من الحياد" تفتقر الى الكثير من مقومات القصة الحديثة. ولا حاجة لتذكيرك بانه ليس المقصود من كتابة القصة تقرير الاحداث كما هي، وانما اعادة خلقها بصياغة فنية تبتعد عن التقريرية واسلوب الخطابة

المحرر الادبي

صدر حديثا
عن مطبعة ومكتبة الجليل
عكا
كتاب
« ولابد للقيد أن ينكسر »
تأليف
وليد الفاهوم

كابد اسم الشيخ رابد بن سلطان ... ان جاء جميع المشاكل يكمن ... الوطن العربي ... ومنذ دارن الماضي ... ذلك المستقبل ...